الأستاذ: قوراري السعيد.

اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).

الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD

المحاضرة 09: الرسائل السياسية في المشرق والأندلس والمغرب .

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على الرسائل السياسية وخصائصها في كل من المشرق والأندلس والمغرب .

مراحل الدرس:

تمهيد.

تعريف الرسائل السياسية

الرسائل السياسية في المشرق.

الرسائل السياسية في الأندلس.

الرسائل السياسية في المغرب.

ملخص المحاضرة:

تعد الرسائل من أهم الفنون النثرية التي عرفت في المشرق وما قبله، فقد استعملتُ لفظة الرسالة منذ القدم ولكنها ارتبطت بالنثر أكثر من الشعر، ولقد شهدت الرسائل بأنواعها نهضة، وقد وصل كتابها منازل رفيعةً ، وازدهرت ازدهارا ملحوظا وتنوعت ، فكان منها السياسية والاجتماعية والعلمية، وكل نوع من هذه الأنواع ينبثق منه أقسام أخري.

ولقد تعددت الرسائل السياسية بما يخدم سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية، وهكذا كانت الرسائل السياسية تهتم بحق بشؤون الدولة الخارجية وشؤونها الداخلية.

المحاضرة 09: الرسائل السياسية في المشرق والأندلس والمغرب.

لقد تقاسم النثر الفني في العصور القديمة جنسان أدبيان هما: الخطب والرسائل، فإذا ما ذكر، انصرفت الأذهان إليهما دون غيرهما نظرا لما يتميزان به من حضور متميز، وما يتبوآنه من منزلة رفيعة بين أجناس الأدب وفنونه، هذا بالإضافة إلى ما اضطلعا به من أدوار ووظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والإدارية.

وهكذا يندرج ضمن هذا النثر الفني ما يصطلح عليه بـ"أدب الرسائل" الذي يشكل جنسا أدبيا قائما بذاته، إذ تنضوي تحته هو الآخر أنواع من الرسائل المختلفة أسلوبا وموضوعا، والمتنوعة غرضا ومقصدا، والمتفاوتة جمالا وتأثيرا. هذا فضلا عما راكمه "أدب الرسائل"، عبر مراحل تطوره، من قواعد و معايير و خصائص، و من ثم أصبحت الرسالة «صناعة ذات قواعد وأصول»

وإذا كان الأمر كذلك، فإن التساؤل حول مفهوم "أدب الرسائل" يظل ملحا، كما أن البحث في هذا الأدب أو ما يسمى عموما بجنس الرسالة سيكون له ما يبرره علميا ومنهجيا.[1]

ينظر، إذن، إلى "أدب الرسائل" باعتباره « ذلك اللون الأدبي الذي يشمل جميع موضوعات الرسائل النثرية الفنية المتبادلة بين الناس». ورغم ما يكتنف بعض المصطلحات الواردة في هذا التعريف من غموض والتباس، فإنه يتضمن مجموعة من الإشارات المهمة الدالة على طبيعة هذا الجنس الأدبي ومنها :

- إن "أدب الرسائل" يشكل لونا أدبيا.
- إن هذا اللون الأدبي يضم أنواعا من الرسائل التي يشترط فيها أن تكون نثرية وفنية.
- إن التعريف يشير إلى جانب مهم من جوانب الرسالة، وهو الجانب التداولي لما له من أهمية في هذا الإطار[2] .

من هنا يمكن النظر إلى "أدب الرسائل" بوصفه الفن النثري الذي اتخذ من الرسالة وسيلته في التعبير والتواصل، وتصبح الرسالة بالتالي « لونا من ألوان النثر الفني الجميل وضربا من ضروبه».

1-الرسائل السياسية في المشرق:

تعد الرسائل من أهم الفنون النثرية التي عرفت في المشرق وما قبله، فقد استعملتُ لفظة الرسالة منذ القدم ولكنها ارتبطت بالنثر أكثر من الشعر، ولقد شهدت الرسائل بأنواعها نهضة، وقد وصل كتابها منازل رفيعةً ، وازدهرت ازدهارا ملحوظا وتنوعت ، فكان منها السياسية والاجتماعية والعلمية، وكل نوع من هذه الأنواع ينبثق منه أقسام أخري.

---

[1]- ينظر: فوزي سعد عيسى. الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991م.ص:18.

[2]- جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام،(عهد النبوة)،ج1،ط1. دار الفكر العربي،1406هـ،1986م.ص:12.

ولقد تعددت الرسائل السياسية بما يخدم سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية، وهكذا كانت الرسائل السياسية تهتم بحق بشؤون الدولة الخارجية وشؤونها الداخلية.

إن الرسائل السياسية في المشرق، فن عربي نثري، عُرف منذ أقدم العصور، وما زالت أهميته قائمة إلى زماننا هذا، وهو فن معروف بالمراسلة والمكاتبة، أي النص الذي يخاطب الكاتب فيه الغائب عن طريق اللسان والقلم، وبقية الأدوات التي تستخدم في الكتابة في تللك الفترة. وقد نهضت الرسائل السياسية بالدور الّذي أنيط بها في تطور النثر العربي، وبالتحديد في العصر الأموي، وأدت إلى ظهور طبقة من الكتاب الذين يمتلكون قوة الأسلوب والثقافة العربية العالية، أمثال: عبد الحميد بن
يحي الكاتب، وأبو العلاء سالم بن عبد الله، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم. وقد كانت هذه الرسائل تستخدم لقضاء التبعات السياسية للدولة، بسبب البعد الجغرافي الذي يفصل بين الناس. وقد تمت هذه المراسلات السياسية بين الحزب الأموي الحاكم، وبين الأحزاب المعارضة، كالشيعة، والخوارج، والزبيريين .

وطبيعي أن تكون لهذه الرسائل قيمتها الفنية والأدبية التي ميزتها، بدءا من الرسائل التي توالت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، وخلافة أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه)والفتن التي حدثت في زمن الصحابة، حتى استقر الحكم الأموي لأول خليفة، وهو معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، إلى آخر خلفاء بين أمية، وهو مروان بن محمد(41-123هـ). وقد امتازت الرسائل السياسية في العصر الأموي بخصائص فنية وأدبية، منها موضوع الرسالة، وافتتاحها بالبسملة، وذكر التحميدات والثناء على الله تعالى بعدها، وعنوان الرسالة، وانتهاء الكاتب من مقدمة رسالته ليفصل بينها وبين مضمونها، والخاتمة، وتذييل الرسالة، واستعمال الجمل الدعائية والاعتراضية، والألفاظ الغريبة مع جزالتها وترادفها، وروعة التصوير الفني في التعبير الكتابي، والإيجاز، أو الإسهاب في بعضها، مع أداء الغرض واستيفائه بأسلوب عربي فصيح سهل، والوضوح، والفصاحة، والاقتباس من القرآن الكريم، والتمثل بالشعر العربي، وغير ذلك.

لقد تعددت الرسائل السياسية بما يخدم سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية، وهكذا كانت الرسائل السياسية تهتم بحق بشؤون الدولة الخارجية وشؤونها الداخلية.

2-الرسائل السياسية في الأندلس:

وهي رسائل تكتب لمعالجة موضوعات سياسية أو فكرية مختلفة فرضتها طبيعة الأحداث السياسية التي شهدتها الأندلس، والتي كانت "صدى للصراعات السياسية والاضطرابات والفتن الداخلية، إلى جانب الحركات الفكرية التي ظهرت في الأندلس آنذاك، لذا فقد كانت الرسائل السياسية ترسم سياسة الدولة وتوضع موقفها من تلك الأحداث".

وقد تعددت ألوان الرسائل السياسية وتنوعت أغراضها، ومن ذلك رسائل الزجر والاستصلاح وتهديد الخارجين عن الحكم، وهي تلك التي تصدر عن ديوان الرسائل في حالة حدوث اضطرابات في الأندلس، ومن هذه الرسائل نذكر ما كتبه عبد الرحمان الداخل إلى رجل خارج عليه يسمى سليمان الأعرابي، بدعوة

بالرجوع عن غروره يقول "أما بعد، فدعني من معاريض المعادير والتعسف عن جادة الطريق، لتمدن بدا إلى الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألقين بنابها على رضف المصيبة نكالا بما قدمت يداك، وما الله بظالم للعبيد" .

وتميزت هذه الرسائل السياسية التي وصلت إلينا بالشدة والعنف، وأحيانا باللين واللطف، كما أنها تتسم بالإيجاز أحيانا والإطناب أحيانا أخرى .

ومن الرسائل التي تتسم بالعنف ما جرى بين الحكم المستنصر والعزيز بالله الفاطمي فقد كتب العزيز بالله الفاطمي رسالة إلى الحكم المستنصر يهجو فيها ويسبه، فرد عليه الحكم المستنصر برسالة عنيفة يقول فيها: "وبعد، فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لهجوناك، والسلام" .

3-الرسائل السياسية في المغرب:

إن الرسالة السياسية في المغرب كانت وسيلة إعلامية في تثبيت دعائم حكم الأمراء والسادة والخلفاء وهي بذلك أقدم وثيقة يمكن الاعتماد عليها لاستجلاء الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لهذه الفترة، لذا كان لزاما علينا أن نلقي الضوء على مختلف الأحداث التاريخية لما لها من الأثر البين في سياسة الدولة، ومناهج الحكم فيها.